آفَاتُ اللِّسَانِ

(٨)

المِرَاءُ- الْجِدَالُ

الْخُصُومَةُ

للشيخ / ندا أبو أحمد

(المِراء- الجِدال- الخصومة)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولا: المـراء

هو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه لغير غرضٍ سوى تحقير قائله، وإظهار مرتبته عليه.

فالممارِي يلتمس الخطأ للغير، سواء من حيث اللفظ أو المعنى أو من حيث الموضوع؛ حتى يمكن الطعن في كلامه، وإظهاره بمظهر الكاذب أو المبالغ أو المخطئ... وما إلى ذلك

- وربنا ﷻ يشير إلى هذا المرض بقوله:

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:١٨]

- والنبي ﷺ يشير لهذا المرض أيضاً ويُبيِّن خطورته

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

قال رسول الله ﷺ: **"مَن طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليُمَارِي به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله النار"**

- وفي رواية عند ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتخيروا به المجالس؛ فمَن فعل ذلك فالنار النار"

(صححه الألباني في صحيح ابن ماجه: حديث رقم٢٥٤)

وأقل ما يُحرَم منه الإنسان هو ثواب الكلام الطيب، إذ الكلمة الطيبة صدقة، أضف إلى هذا أنه يفوته ما وعد النبي ﷺ به

ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"أنا زعيم [١] ببيت في ربض الجَنَّة [٢] لمَن ترك المِرَاءَ[٣] وإن كان مُحقا، وببيت في وسط الجَنَّة لمَن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجَنَّة لمَن حَسُن خُلقُه"

(الصحيحة: ٢٧٣)(صحيح الجامع: ١٤٦٤)

وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسند صحيح عن النبي ﷺأنه قال:

"لا يؤمنُ العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح، ويترك المراء وإن كان صادقاً"

(ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية) و(صححه الألباني في صحيح الترغيب:٢٩٣٩)

فعلينا أن نتجنَّب هذا المرض بأن نُصَدِّق المتكلم ونُحسن الظن به، إلا إذا ظهر خلاف ذلك، فإذا كان الكلام باطلاً أو كذباً نظرنا: فإن كان لا يتعلق بأمور الدين والسكوت عليه لا يعرضنا للإثم؛ كان السكوت خيراً من الكلام، وأما إذا كان مُتعلّقاً بأمور الدين وجب الرد بلباقة وأدب، بشرط العلم بالصواب، والحرص على المودة، وعدم إثارة البغضاء أو الكراهية.

يقول الغزاليﷺ في كتابه الإحياء

وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض،فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به،وإن كان باطلاً كاذباً،ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه.اهـ

---

(١) زعيم: كفيل وضامن.

(٢) ربض الجَنَّة: يعني ما حول الجَنَّة، خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع (وهو ما يُعرف الآن بضواحي المدن).

(٣) المِرَاء في اللغة: الجدال، وتفسيره: استخراج غضب المجادل، من قولهم: "مريت الشاة" إذا استخرجت لبنها، والحديث فيه الحث على كسر النفس؛ كيلا يرفع نفسه على خصمه بظهور فضله.

كلام السلف في ذم المراء

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: **"لا تتعلَّم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث، لا تتعلَّمه لتماري به، ولا لتتباهى به، ولا لتُرائي به، ولا تتركه حياءً من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه"** (الإحياء: ٣/٥٧)

- ***ويقول عبد الله ابن مسعود*** ﷺ: "ذروا المراء، فإنه لا تفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته"

- ***ويقول أبو الدرداء*** ﷺ: "لا تكون عالماً حتى تكون مُتعلِّماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً، وكفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً أن لا تزال مماريا، وكفى بك كذباً أن لا تزال مُحدثاً في غير ذات الله" (الدارمي: ١/ ١٠١)

وقال مسلم بن يسار ﷺ: "إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زَلَّته "

(سنن الدارمي:١/١٢٠)

وقال الربيع: "سمعت الشافعي يقول: "المراء في الدين يُقَسِّي القلب ويُورث الضغائن"

(نزهة الفضلاء:٢/٧٣٤)

ومن هذا الباب كان ابن الجوزاء ﷺ ***يقول:*** "ما ماريتُ أحداً قط" (نزهة الفضلاء:١/ ٤٠٠)

وقال الحسنﷺ: "المؤمن لا يُداري، ولا يُماري، ينشر حكمة الله، فإن قُبِلت حمد الله، وإن رُدَّت حمد الله ﷻ" (الشريعة للآجري: ١/ ٢٠٨)

ويقول عمر بن عبد العزيز ﷺ: "قد أفلح مَن عُصِمَ من المراء والغضب والطمع"

(البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٩)

وقال خالد بن الخليفة يزيد بن معاوية:

"إذا كان الرجل لجوجاً، مُمَارياً، مُعجباً برأيه، فقد تمَّت خسارته" (نزهة الفضلاء: ١/٤٠٣)

وقال لقمان لابنه: "يا بُنيّ لا تُمَارِيَنَّ حكيماً، ولا تُجادِلنَّ لَجُوجاً، ولا تُعاشرنَّ ظلوماً، ولا تُصَاحِبنَّ مُتَّهِماً"

وقال سليمان بن داود - عليهما السلام - لابنه:

"دع المراء، فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان" (الدارمي: ١/ ١٠٢)

ويقول مهدي بن ميمون ﷺ: "سمعت محمداً- يعني ابن سيرين- وماراه رجل في شيء، فقال محمد: "إني أعلم ما تريد؛ وأنا أعلم بالمراء منك، ولكني لا أماريك" **(الشريعة:١/ ١٩٦)**

ويقول الزجَّاج ﷺ: "كنا عند المبرِّد أبي عباس محمد، فوقف عليه رجل، فقال: " أسألك عن مسألة في النحو؟ قال: لا، فقال: أخطأت، فقال: يا هذا! كيف أكون مُخطئاً أو مُصيباً، ولم أُجِبْكَ عن المسألة بعد؟ فأقبل عليه أصحابه يُعَنِّفُونَه، فقال لهم: خَلُّوا سبيله، ولا تَعَرَّضُوا له، أنا أخبركم بقصته: هذا رجل يحب الخلاف، وقد خرج من بيته وقصدني على أن يخالفني في كل شيء أقوله، ويُخطِّئني فيه، فسبق لسانه بما كان في ضميره" **(العزلة للخطابي: ص ١٦٦)**

وصدق ميمون بن مهران ﷺ ***حيث قال لأحد تلامذته يوصيه:***

"إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادلنَّ عالماً ولا جاهلاً، أما العالم فإنه يَخْزِنُ(١) عنك علمه، ولا يبالي ما صنعت، وأما الجاهل فإنه يُخَشِّنُ بصدرك، ولا يطيعك" **(الدارمي: ١٠٢/١)**

(١) يَخْزِنُ : يحبس

وهذا موافق لما روي عن ابن عباس ﷺ ***حيث قال:***

"لا تمار حكيماً ولا سفيهاً، فإن الحكيم يغلبك، والسفيه يؤذيك"

(إحياء علوم الدين:٣/ ١٢٢)،(بهجة المجالس:٢/ ٤٢٩)

ويقول عبد الرحمن بن أبي ليلى:

"ما ماريتُ أخي أبداً؛ لأني إن ماريتُهُ، إمَّا أن أُكذِّبَهُ، وإما أن أُغْضِبَه"

وقال مِسْعَر بن كِدَام يوصي ابنه كِداماً:

إني منحتُك يا كِدَامُ وصيَّتي ... فاسمع لقولِ أبٍ عليك شفيق
أما المُزاحةُ والمراءُ فدعهما ... خُلُقَانِ لا أرضاهما لصديق
إنِّي بَلَوْتُهُمَا فلم أَحْمِدْهُمَا ... لمجاورٍ جاراً ولا لرفيق

(جامع بيان العلم وفضله: ٩٩/٢) (الآداب الشرعية: ١/ ١٩)

وقال الأصمعي ﷺ:

"سمعت أعرابياً يقول: "مَن لاحى الرجال ومَارَاهم؛ قلَّت كرامته، ومَن أكثر من شيء عُرِفَ به"

- ***سئل سهل بن عبد الله التستري:*** "متى يعلم الرجل أنه من أهل السُّنَّة والجماعة؟

فقال: "إذا عَرَف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسبُّ أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأُمَّة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يمارِي في الدين، ولا يترك الصلاة على مَن يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة - أو قال الجمعة- خلف كل والٍ جارَ أو عَدَل" **(شرح أصول الاعتقاد:١/ ١٨٣)**

تنبيهان:

١- مرَّ بنا في تعريف المراء أنه هو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، وأنه يلتمس الخطأ من حيث اللفظ أو المعنى..." وعلى هذا فلا يجوز المراء في القرآن، والمراء فيه كفر

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ: **"المراء في القرآن كفر"** **(صحيح الجامع: ٦٦٨٧)**

فالمراء في القرآن لا يجوز، لأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ **[فصلت:٤٢]**

٢- ***جاء في حديث أخرجه الطبراني في "الكبير" عن أبي أمامة*** ﷺ ***عن النبي*** ﷺ ***قال:***

"تكفيرُ كلِّ لِحاء ركعتان" **(صحيح الجامع: ٢٩٨٦)**

وهذا الحديث دليل على أن التلاهي والمراء بين الأشخاص يورث البغضاء والشحناء وينتج عنه إثم، يُكفَّر عنه بركعتين، ***وكان أبو الدرداء*** ﷺ ***يؤكد على هذه الحقيقة فيقول:***

"كفى بك إثماً أن لا تزال مماريا"

وقفة: مَن أراد السلامة فعليه بترك المراء

روي عن يزيد بن هارون ﷺ ***أنه كان جالساً في مجلس، فذكر حديث الرؤية، فقال له رجل في المجلس:*** "يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث؟ فغضب، وقال: ما أشبهك بصبيغ وإحواجك إلى مثل ما فُعِل به [1] ويلك، ومَن يدري كيف هذا؟ مَن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه واستخفَّ بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه، فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم"

(الرسالة في اعتقاد أهل السُّنَّة وأصحاب الحديث والأئمة - للشيخ أبي إسماعيل عبد الرحمن إسماعيل الصابوني: ص ٥٠ - ٥١)

---

(١) صبيغ: رجل قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر ليعاقبه، فقال له: مَن أنت، قال: عبد الله بن صبيغ، قال: وأنا عبد الله: عمر، فضربه حتى دمي رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثم نفاه إلى البصرة. (الإصابة:٣/٢٥٨)

ثانيا: الجدال

والجدال نوعان:

النوع الأول: الجدال المحمود:

وهو كل جدال أيَّد الحق أو أوصل إليه بنيَّة صالحة وطريق صحيح

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]

وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت:٤٦]

وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود:٣٢]

والمجادلة بالتي هي أحسن هي التي تكون على علم وبصيرة، وبحسن خلق ولطف ورفق ولين، وحسن خطاب، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد الباطل وبيان قبحه، بأقرب طريق موصل إلى ذلك

وأن لا يكون القصد منها مجرد المغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق" اهـ

(انظر تفسير ابن كثير:٢/٥٩٢)

قال أبو حنيفة (الشافعي) رحمه الله: "ما ناقشت أحداً في مسألة إلا وتمنيت أن يُظهِرَ الله الحق على لسانه"

النوع الثاني: الجدال المذموم:

والجدال المذموم هو كل جدال أيَّد الباطل، أو أوصل إليه، أو شغل عن ظهور الحق ووضوح الصَّواب، أو كان بغير علم وبصيرة، فهو ناشئ عن جهل، وسوء خلق، وتعَصُّب للرأي، والغرض منه الظهور والفخر، فصاحبه يتعصَّب لرأيه سواء كان على صواب أو خطأ. وإن ردَّ عليه بعض كلامه يغضب، ولا تهدأ نفسه حتى يتنازل مَن يناظره عن رأيه.

والجدال المذموم آفة عظيمة، وداء عضال وقع فيه كثير من المسلمين، وهو يُزكِّي العداوة ويورث الشقاوة، ويقود إلى الكذب، فإذا تجنَّبه المرء سَلِم من اللجاج، وحافظ على صفاء قلبه.

وقال الكفوي رحمه الله ***عن الجدال المذموم:*** "هو عبارة عن دفع المرء خَصْمَهُ عن فساد قوله بحجةٍ أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره" **(الكليات: ص ٣٥٣)**

فالخلاصة: أن الجدال المذموم: عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه، بالقدح في كلامه ونسبته إلى التهوُّر والجهل، وقد يكون الجدل هدفه ليس تخطئة المتكلم، وإنما هدفه أن يظهرَ المُجادِل بمظهر العالم، وصاحب الحجة والبيان.

وقد عَدَّ الذهبي رحمه الله ***الجدال من الكبائر فقال*** رحمه الله:

"إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدال في مدافعة الحق أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تُنَزَّل النصوص الواردة في إباحته وذمِّه" **(كتاب الكبائر: ص ٢٢١)**

- ***وقال الإمام الخطيب البغدادي*** ﷺ: "نظرنا في كتاب الله تعالى، وإذا فيه ما يدل على الجدال والحجاج، **فمن ذلك قوله تبارك وتعالى:** ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، فأمر الله رسوله ﷺ في هذه الآية بالجدال، وعلَّمه منها جميع آدابه من الرفق، والبيان، والتزام الحق، والرجوع إلى ما أوجبته الحُجَّة، **وقال تعالى:** ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]، **وقال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة:٢٥٨] وكتاب الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف، فتضمن الكتاب ذم الجدال والأمر به، فعلمنا علماً يقيناً أن الذي ذمَّه الله تعالى غير الذي أمر به، وأن من الجدال ما هو محمودٌ مأمورٌ به، ومنه ما هو مذمومٌ منهيٌّ عنه[1]، فطلبنا البيان لكل واحد من الأمرين، **فوجدناه تعالى قد قال:** ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف:٥٦]، **وقال:** ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٣٥]، فبَيَّن الله تعالى في هاتين الآيتين الجدال المذموم، وأعْلَمَنَا أنه الجدال بغير حجة، والجدال في الباطل. **فالجدال المذموم وجهان**: ١- الجدال بغير علم

٢- الجدال بالشغْب والتمويه؛ نصرة للباطل بعد ظهور الحق وبيانه، **قال تعالى:**

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥]

وأما جدال المُحِقّين فمن النصيحة في الدين، ألا ترى إلى قوم نوح عليه السلام، **حيث قالوا:** ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود:٣٢]، **وجوابه لهم:** ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:٣٤]

وعلى هذا جرت سنة رسول الله ﷺ ***فقال:*** "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" فأوجب المناظرة للمشركين، كما أوجب النفقة والجهاد في سبيل الله، وعلَّمنا رسول الله ﷺ وضع السؤال في موضعه، وكيفية المحاجة في الحديث الذي ذكر فيه محاجة آدم وموسى -عليهما السلام"

إلى أن قال ﷺ: "وقد تحاجَّ المهاجرون والأنصار، وحاجَّ عبد الله بن عباس ﷺ الخوارج بأمر عليٍّ ابن أبي طالب ﷺ، وما أنكر أحدٌ من الصحابة قط الجدال في طلب الحق". اهـ بتصرف

(الفقيه والمتفقه:١/ ٢٣٢-٢٣٥)

(١) كالجدال في القرآن الكريم، وفي الله ﷻ، وفي القدر.

- وعندما أتكلَّم عن الجدال، فالحديث سيكون عن النوع الثاني من الجدال وهو الجدال المذموم

وقد نهى رب العالمين في كتابه الكريم عن هذا النوع من الجدال وذمه، **قال تعالى:**

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ . . . ﴾ [البقرة:١٩٧]

وقال تعالى: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ [الكهف:٥٦]

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة:٢٠٤]

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر:٥]

وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١]

• أمور لا يجوز فيها الجدال

١ - الجدال عن الباطل

قال تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿ ١٠٧ ﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ ١٠٨ ﴾ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ [النساء:١٠٧-١٠٩]

٢ - الجدال في الله ﷻ

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿ ٣ ﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج:٣-٤]

وقال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد:١٣]

٣- الجدال في آيات الله

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦]

- وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة ﵂ قالت:

"تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ. . .﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧]، فقال: يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عناهم الله ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾"

٤- الجدال في القرآن

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

"الجدال في القرآن كُفرٌ" – *وفي رواية:* "المراءُ في القرآن كُفرٌ"

- وكان السلف الصالح يُحذِّرُون من الجدال في القرآن

فها هو عمر ﵁ يقول لزياد بن حُدَيْر: "هل تعرف ما يُهْرِم الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: يهرمه زَلَّةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة الضالين" (رواه الدارمي:٨٢)

(وقال الألباني ﵀ في "مشكاة المصابيح" (١/٨٥): "إسناده صحيح)

وقال ﵁ أيضاً: "إنه سيأتي ناسٌ يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسُّنَن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله" (الدارمي:٦٢)

قال عليٌّ بن أبي طالب ﵁ لإياس بن عمر ﵁: "إنك إن بقيت سَيقْرأُ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومَن طلب به أدرك" (الدارمي:٢/٥٢٦)

• الأسباب الباعثة على الجدال المذموم

١- الغرور والكبرياء والخيلاء ، **قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥]

٢- إظهار العلم والفضل.

٣- الاعتداء على الغير بإظهار نقصه وقصد أذاه.

- وحذَّر النبي ﷺ من الجدال المذموم

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه، إلا أُوتوا الجدل، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨] (صحيح الجامع:٥٦٣٣)

• أقوال السلف في ذم الجدال (النوع الثاني)

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "لاتعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله، فإنه يدوم ويبقى، وينفذ ما سواه" (جامع بيان العلم لابن عبد البر:١/١٧٦)

ويقول الأوزاعي ﷺ: "إذا أراد الله بقومٍ شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل" (شرح أصول الاعتقاد:١/ ١٤٥)

قال معروف الكَرْخيِّ ﷺ: "إذا أراد الله بعبد شراً؛ أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل" (نزهة الفضلاء:٢/٧١٤)

وسمع الحسن ﷺ قوماً يتجادلون فقال: "هؤلاء ملُّوا العبادة، وخفَّ عليهم القول، وقلَّ ورعُهم فتكلَّموا" (الحلية: ٢/ ١٥٧)

وقال الإمام مالك ﷺ: "الجدال في الدين يُنشىء المراء، ويذهب بنور العلم، ويُقسِّي القلب، ويورث الضعف" (نزهة الفضلاء:٢/ ٦٢٣)

وفي ذم الجدال يقول ابن الرومي:

لذوي الجدال إذا غَدَوا لجدالهم ... حُجَجٌ تضلُّ عن الهدى وتجُورُ

وُهُنٌ كآنية الزُّجاج تصادمتْ ... فهَوت، وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ

فالقاتلُ المقتولُ ثمَّ لِضعْفِه ... ولوهِيه، والأسرُ المَأسورُ

- ***قال أبو حنيفة لداود الطائي:*** "لِمَ آثرتَ الانزواءَ؟ قال: لأجاهد نفسي بترك الجدال، فقال: احضر المجالس، واستمع ما يُقال، ولا تتكلَّم، قال: ففعلت ذلك، فما رأيت مجاهدة أشدَّ عليَّ منها"

- ***وعن محمد بن واسع ﷺ قال:*** "رأيتُ صفوانَ بن مُحرِز في المسجد، وقريباً منه ناس يتجادلون، فرأيته قام فنفض ثيابه، وقال: إنما أنتم جَرَبٌ، إنما أنتم جَرَبٌ"

علاج الجـــدال

١- أن يبتغي في حديثه رضا الله تعالى، وهذا سبيل النجاة

وفي قصة كعب بن مالك ما يشهد لهذا حيث قال ﷺ:

"فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً[١] من تبوك حضرني بثي[٢] فطفقت[٣] أتذكر الكذب، وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً؛ زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقة وصَبَّحَ رسولُ الله ﷺ قادماً- وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه - وكانوا بضعة وثمانين رجلاً- فقبل منهم رسول الله علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت، فلما سلمتُ تبَسَّمَ تَبَسُّمَ المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟[٤] قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيتُ جدلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليوم حديث كذب ترضى به عني؛ ليُوشكنَّ الله أن يُسْخِطَكَ عليَّ، ولئن حدَّثْتُك حديثَ صدقٍ تَجِدُ عليَّ فيه[٥] إني لأرجو فيه عقبى الدار، والله ما كان لي عذرٌ، والله ما كنت قط اقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفْت عنك، قال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك..." الحديث

(رواه البخاري ومسلم)

الشاهد من الحديث هو قول كعب بن مالك ﷺ:

"ولقد أعطيتُ جدلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليوم حديث كذب ترضى به عني؛ ليُوشكنَّ الله أن يُسْخِطَكَ عليَّ، ولئن حدَّثْتُك حديثَ صدقٍ تَجِدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الدار..." وقد كان، فقد تاب الله عليه، فأنزل فيه وفي صاحبيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة، **فقال تعالى:** ﴿ . . . ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ . . . ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿ . . . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٧-١١٩]

---

(١) قافلاً: راجعاً.
(٢) البث: الحزن، والمعنى: أني حزنتُ.
(٣) طفقت: بدأت.
(٤) ابتعت ظهرك: اشتريت دابةً للحرب.
(٥) تَجِدُ عليَّ فيه: أي تغضب عليَّ بسببه.

٢- كسر الكبر الباعث على الجدال المذموم

والكبر هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، ومَن تكبَّر فقد نازع الله في صفة من صفاته وهي الكبرياء، **قال تعالى:** ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية:٣٧]

– ***وفي "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى:***

"الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمَن نازعني واحد منها؛ ألقيته في جهنم ولا أبالي"

– ***قال الخطابي ﷺ كما في "عون المعبود"(١١/١٥٠):*** "معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه واختص بهما، لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما؛ لأن صفة المخلوق التواضع والتَّذلُّل، أما ضرب الرداء والإزار مثلاً في ذلك، يقول والله أعلم: كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق".اهـ

– ***والنبي ﷺ قال فيما أخرجه الإمام مسلم:*** **"الكِبرُ بطر الحق(١) وغمط الناس(٢)"** فانظر ماذا فعل الكبر فيهم؟ حرمهم أخلاق المؤمنين: من التواضع، وكظم الغيظ، والعفو، وبسط الوجه، بل دعاهم إلى الجدال والمراء لإفحام الخصم، وازدراء واحتقار الغير، فوقعوا بذلك في خطر داهم، وشر ماحق.

٣- التواضع والاعتراف بالخطأ

وهذا العنصر له علاقة بما قبله، فإذا تواضع الإنسان فإنه لا يقلل من شأن الناس، ويقبل النصيحة ويعترف بخطئه إذا أخطأ ويعود إلى الصواب، **وقد مدح الله تعالى المتقين فقال:**

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥]

– ***وذكر ابن القيم في "مدارج السالكين" (٢-٢٦٩):*** "أن أبا ذر ﷺ عيَّر بلالاً ﷺ بسواده، ثم ندم فألقى بنفسه فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدميه"

– وعدم الاعتراف بالخطأ يجعل الإنسان يرد الحق، فكم من شيخٍ كبيرٍ، أو عالم مشهورٍ ناقشه تلميذ صغير في مسألة وتبيَّن له خطؤه، ولكنه لم يرجع إلى الحق أنفة وكبراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكما قيل:

لكنهم لم يسمعوا قول الهدى ... لما أتى من أصغر الأبناء

بل حاربوه بكل أمرٍ منكرٍ ... ورموه بالتقصير والإعياء

(١) بطر الحق: إنكاره، والاستنكاف عن قبوله ورده.
(٢) غمط الناس: احتقارهم واستصغارهم وازدراؤهم.

- **وانظر إلى سلفنا الصالح، كانوا يقبلون الحق أينما كان**

فها هو أبو حنيفة ﷺ يقول: "تعلَّمتُ نسك الحلق من حلاق"

والإمام مالك ﷺ: يرجع إلى قول تليمذه الصغير محمد بن إدريس الشافعي في مسألة من مسائل الطلاق.

وصدق الفضيل بن عياض ﷺ عندما سئل عن التواضع فقال:

"أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته"

٤- عدم تزكية النفس ورمى الغير بالجهل والتقصير

فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه أمام الناس، وإنما العبرة بمَن زكَّاه الله تعالى، **قال تعالى:**

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم:٣٢]

- ***وفي "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ قال:*** **"لا تزكُّوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البرِّ"**

- ***وكان الصحابي الجليل عتبة بن غزوان ﷺ يقول:***

"أعوذ بالله من أن أكون في نفسي عظيماً، وعند الله صغيراً" (صفة الصفوة:١/١٤٧)

٥- أن يسكت إذا ما اشتهى الكلام، وألا يتكلم إلا إذا اشتهى السكوت

فإنه عندئذ لن يتكلَّم إلا بحق

تنبيه:

مَن أراد تصحيح فكر، أو تصويب رأي، أو تقديم نصيحة للإنسان، فليُقدِّمها بلطف ولين، وحبَّذا لو كانت في السر، ***والأمر كما قيل:*** "النصيحة في العلن فضيحة"

وقال بعضهم:

تعمَّدني بنصحك بانفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

٦ - معرفة شؤم وعاقبة الجدال، والآثار المترتبة عليه

أ/ الجدال المذموم سبب للحرمان من البركات

فقد أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت ﷺ قال:

"خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى [١] رجلان من المسلمين، فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرُفِعَت، وعسى أن يكون خيراً، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة"

ب/ يورث البغضاء والكراهية

جـ/ الحرمان من السعادة التي يحظى بها الباحث عن الحق

د/ طول ممارسة الجدال المذموم يورث التمادي في الباطل

هـ/ يؤدي إلى سوء العاقبة بالحرمان من المنزلة العالية في الجنة، *فالنبي ﷺ قال:*

"أنا زعيم ببيت في ربض الجَنَّة لمَن ترك المراء وإن كان مُحِقا..." (أخرجه أبو داود)

(١) تلاحى: تخاصم وتنازع وتشاتم.

ثالثا: الخصومة

والخصومة هي لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداءً أو اعتراضاً، بخلاف المراء فإنه لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق.

والخصومة نتيجة طبيعية للجدال والمراء والخوض في الباطل

• وكان السلف الكرام يُحذِّرُون من الخصومة

يقول علـيٌّ بن أبـي طالب ﷺ:

"إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين" (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي:٢/١٢٧)

ويقول الأحنف بن قيس ﷺ: "كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب" (المصدر السابق:٢/١٢٩)

ويقول معاوية بن قرة ﷺ: "إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال" (المصدر السابق:٢-١٢٩)

ويقول الفضيل بن عياض ﷺ: "لا تجادلوا أهل الخصومات، فإنهم يخوضون في آيات الله

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾

[البقرة:٢٠٤]

• وأشدّ هذه الخصومات هي الخصومة في الدين

وكان السلف الكرام أشد تحذيراً منها، وأكثر ابتعاداً عنها

يقول معن بن عيسى ﷺ: "انصرف مالك بن أنس يوماً من المسجد، وهو متكئ على يدي؛ فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية، كان يُتَّهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك، وأخبرك برأيي، قال الإمام مالك: فإن غلبتني؟ قال أبو الجويرية: إن غلبتك اتبعتني، قال الإمام مالك: "فإن جاء رجل آخر، فكلَّمنا فغلبنا؟ قال أبو الجويرية: "نتبعه"، قال الإمام مالك ﷺ: "يا عبد الله! بعث الله ﷻ محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تتنقل من دين إلى دين، ***قال عمر بن عبد العزيز*** ﷺ: "مَن جعل دينه غرضاً للخصومات؛ أكثر التَّنقُّل" (الشريعة:١/١٨٩)

وعن الحسن ﷺ أن رجلاً أتاه فقال: "يا أبا سعيد! إني أريد أن أخاصمك، فقال الحسن: إليك عني فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه"

وقال الشافعي ﷺ: "كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما أنا فإني على بينة من ديني، وأما أنت فشاكّ، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه"

وصدق عبد الكريم الجزري حيث قال: "ما خاصم ورعٌ قطُّ في الدين" **(الشريعة:١/١٩١)**

وكان جعفر بن محمد يقول: "إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق"
(الحلية:٨/١٩٨)

وقال محمد بن علي بن الحسين ﷺ: "الخصومة تمحق الدين وتثبت الشحناء في صدور الرجال"

وقال إبراهيم للفضيل: "ما خاصمتَ؟ فقال الفضيل: لا، فقال إبراهيم: قطّ؟ قال الفضيل: قط"

وسمع الربيع بن خثيم رجلاً يلاحي رجلاً فقال: "مَهْ! لا تلفظ إلا بخير، ولا تقل لأخيك إلا ما تحب أن تسمعه من غيرك، فإن العبد مسئول عن لفظه محصي عليه ذلك كله ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾
[المجادلة:٦]

وكتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى أهل المدينة:
"مَن تعبَّد بغير علم كان ما يُفسِدُ أكثر مما يصلح، ومَن عَدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامُهُ إلا فيما يعنيه، ومَن جعل دينه غرضاً للخصومات كثر تنقله" **(الدارمي:١/١٠٣)**

ويقول الغزالي ﷺ: "فالخصومة مبدأ كل شر، وكذا المراء والجدل، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك متعذر جداً".اهـ

- وهذه الخصومة نعني بها الخصومة بالباطل أو بغير علم، فصاحبها مُتوعَّد بسخط الله تعالى

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال في حديث له: "ومَن خاصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومَن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنه الله ردغة الخبال[١] حتى يخرج ممَّا قال وليس بخارج"

(صحيح الجامع:٦١٩٦)

- **والله تعالى يبغض هذا الصنف من الناس**

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ:

"إن أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ [٢] الخَصِمُ [٣]"

- وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ألا أخبركم بأهل الجَنَّة؟ قالوا: بلى، قال: كل ضعيف مُتضعَّف، لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلّ [٤] جواظ [٥] مستكبر [٦]"

وأخرج البيهقي في "السنن الكبرى" وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن الله يبغض كل جعظري[٧]، جواظ، سخاب[٨] في الأسواق، جيفة بالليل[٩]، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا [١٠]، جاهل بأمر الآخرة [١١]"

أقل ما يفوته في الخصومة طيبُ الكلام، **قال تعالى:** ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة:٨٣]

والكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح

قال بعض الحكماء: "كل كلام لا يُسخِط ربك إلا أنك تُرضِي به جليسك، فلا تكن به عليه بخيلاً، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين" (الصمت لابن أبي الدنيا: ص٩٧)

---

(١) ردغة الخبال: عصارة أهل النار.
(٢) الأَلَدُّ:هو شديد اللدد، كثير الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي، وهما جانباه؛ لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر" (الإمام النووي﵀)
(٣) الخَصِمُ:الذي يُخاصم أقرانه ويحاجهم بالباطل، ولا يقبل الحق.
(٤) عتلّ: شديد الخصومة، الذي لا ينقاد للخير، وقيل: "الغليظ الجافي".
(٥) الجواظ: كثير اللحم، الفاجر المختال، وقيل: "الجموع المنوع، أي: الذي جمع ومنع.
(٦) المستكبر: المُتعاظم في نفسه، الذي يرد الحق، ويحتقر الناس، كما جاء في الحديث: "الكِبرُ بطر الحق وغمط الناس"
(٧) الجعظري: الفظُّ الغليظ المُتكبِّر.
(٨) السخاب: كالصخاب، وهو كثير الضجيج، والخصام المُتكبِّر.
(٩) جيفة بالليل:أي كالجيفة؛ لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه، وينام طوال ليله كالجيفة التي لا تتحرك.
(١٠) عالم بأمر الدنيا: أي بما يبعده عن الله من السعي في تحصيلها.
(١١) جاهل بأمر الآخرة: أي بما يقربه ويدنيه من الآخرة. (فيض القدير:٣/٢٨٥)

- **ومع قلة الإيمان، وغياب الوازع الديني؛ نجح الشيطان في تأجيج نار الخصومة والبغضاء بين الناس**

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن الشيطان قد أيس أن يعبده المُصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"

فالشيطان يحرش بين المصلين بالخصومات والشحناء والحروب، والإغراءات بينهم بأنواع المعاصي والفتن وغيرها " **(جامع الأصول لابن الأثير:٢/٧٥٤)**

وقد قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ **[الإسراء:٥٣]**

فالشيطان ينزغ بين الناس بالكلمة الخشنة تفلت، وبالقول السيئ يتبعها، فليحسن أحدنا اختيار الأحسن من الكلام مع الناس؛ حتى لا يدع للشيطان عليه سبيلاً

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "البرُّ أمرٌ هيِّن: وجهٌ طليق، وكلام لين".

وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال: "طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى"

وقال بعضهم: "الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح"

وقد خاصم رجلٌ الأحنف بن قيس، فقال هذا الرجل للأحنف:

"لئن قلت واحدة لتسمعنّ عشراً، فقال الأحنف: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة"

(سير أعلام النبلاء:٤/ ٩٣)

كان أحدهم يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال:

"يا هذا لا تفرط في شتمنا وأَبقِ للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه" **(سير أعلام النبلاء:٦/ ٣٨٩)**

علاج الخصومة

١ - معرفة فضل وثواب الكلام الطيب

- فالكلمة الطيبة صدقة

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ"

- الكلمة الطيبة وقاية من النار

فقد أخرج البخاري من حديث عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمَن لم يجد فبكلمة طيبة"

- الكلمة الطيبة سبيل الدخول الجَنَّة

فقد أخرج الطبراني أن النبي ﷺ قال: "يوجب الجَنَّة إطعام الطعام، وحسن الكلام"

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"إن في الجَنَّة غرفاً يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله لمَن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام ، وصلَّى بالليل والناس نيام" (صحيح الجامع:٢١٢٣)

٢ - الخوف من تبعات الخصومة يوم القيامة

فالخصومة تؤدي في الغالب إلى هضم حق الغير، والجور عليه، واتهامه بما هو منه برئ، والوشاية به، أو النيل منه إما بالشتم أو الضرب... وغير ذلك من ألوان الظلم، والتي تجعل خصمه يوم القيامة يأخذ منه أغلى ما يملك وهي الحسنات، وهذا عين الإفلاس.

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال:

"أتدرون مَن المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أُمَّتِي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيُعْطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار"

- **وكان السلف الكرام يحرصون كل الحرص من الوقوع في مثل هذا**

– ***فها هو عمر بن الخطاب ﷺ يقول:*** ***"مَن اتقى الله لم يشف غيظه، ومَن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون"*** **(الإحياء:٣/١٨٧)**

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: " النقيُّ ملجم لا يفعل كل ما يريد" **(شعب الإيمان للبيهقي:٥٧٨٨)**

ويروى عن عمر بن عبد العزيز ﷺ: "أن رجلاً نال منه، فقال له عمر: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تنال مني غداً (يوم القيامة)، فانصرف رحمك الله"

وعن عبد العزيز بن الماجشون ﷺ قال: "قال أبو حازم لبعض أولئك الأمراء: "والله لولا تبعة لساني، لأشفيت منكم اليوم صدري" **(الصمت لابن أبي الدنيا)**

وهكذا ينبغي أن يكون صاحب الحق فالأولى في حقه أن ينصرف عن الخصومة إن أمكن له ذلك؛ لأن الخصومة توغر الصدر، وتهيج الغضب، وتورث الحقد، وتخرج إلى تناول الأعراض.

٣- الابتعاد عن الغضب وأسبابه

وكظم الغيظ والابتعاد عن الغضب من أسباب السلامة من اللجاج والخصومات

- **وعلاج الغضب عن طريقين:-**

الطريقة الأولى: الوقاية

ومعلوم أن الوقايةَ خيرٌ من العلاج، والوقاية من الغضب قبل وقوعه تكون باجتناب أسبابه والابتعاد عنه، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يُطهِّر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتيه، والحرص المذموم... وما شابه ذلك.

– أيضاً من طرق الوقاية لعلاج الغضب: العمل بوصية النبي ﷺ حيث قال: "لا تغضب"

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ:

"أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردَّد مراراً: لا تغضب"

فدلَّ هذا الحديث على أن الغضب هو جماع الشرِّ، وأن التَّحرُّر منه هو جماع الخير، فيا لها من وصية جامعة مانعة، استقلَّها هذا الرجل، وطلب من النبي ﷺ أن يزيده، ولكن النبي ﷺ اقتصر على ذلك فقط، فعُلِم أن النجاة في عدم الغضب.

وفي "مسند الإمام أحمد" عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ:

"أن رجلا قال للنبي ﷺ: أخبرني بكلمات أعيش بهم ولا تكثر عليَّ، قال: اجتنب الغضب، ثم أعاد عليه، قال: اجتنب الغضب" ومعنى الحديث: أي اجتنب الأسباب التي تؤدي إلى الغضب.

الطريقة الثانية: العلاج

والإنسان ربما يأخذ بالطرق الوقائية لعدم الوقوع في الغضب، لكن لبشريته قد يغلبه الغضب، ولا يستطيع دفعه وردَّه عن نفسه، ففي هذه الحالة وجب عليه أن يبادر إلى العلاج ويتمثل في:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) [الأعراف:٢٠٠]

فالشيطان أملك ما يكون للإنسان عند غضبه وشهوته، يفعل به الشيطان ما يشاء ويلعب به كما يلعب الغلمان بالكرة، فعلى الإنسان أن يلجأ إلى الرحمن ولْيسْتَعِذ به أن يحميه من هذا الشيطان حتى يذهب عنه ما يجد.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن سليمان بن صرد ﷺ قال:

"كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان، فأحدهما أحمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوَّذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون ؟ - *وفي رواية:* أمجنوناً تراني؟"

يلاحظ أن أكثر الناس اليوم إذا غضبوا ثم استعاذوا لا يجدون أثراً للاستعاذة عند الغضب فهذا الغضب لا يسكن، **وتفسير ذلك:** أن الاستعاذة مشروطة بالفهم، أي تعلُّق القلب بالله واللجوء إليه بصدق وإخلاص عند النطق بها، أي توافق اللسان مع عمل القلب، أما مجرد النطق بها دون عمل القلب فهذا لا يُجْدِي، ولا تجد له أثراً يذكر.

٢- الالتزام بالهدي النبوي وذلك عن طريق تغيير الهيئة (الحال):

أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا غَضِبَ أحدكم وهو قائمٌ فليجْلِس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع"

(صححه الألباني في صحيح أبي داود)

ومن المعروف أن الغضب من الشيطان، والشيطان من النار كما أخبر عن نفسه، **فقال لرب العزة:**

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (٢) [الأعراف:١٢]

ومن شأن النار التَّلظِّي والاشتعال والحركة والاضطراب والصعود لأعلى، ومن شأن الطين السكون والوقار.

---

(١) ينزغنك: يصيبنك أو يصرفنك وقيل: "يغضبك" . نزغ: وسوسة أو صارف.

(٢) خلقته: أي آدم.

٣- ترك المخاصمة والسكوت:

فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"علّموا وبشّروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت"

١. قال ابن رجب ﷺ كما في جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦١):

"وهذا أيضاً دواء عظيم للغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه، وكثيراً من السّباب وغيره ممّا يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنده".

وما أحسن قول مورق العجلي ﷺ حيث قال:

"ما امتلأت غضباً قط، ولا تكلّمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت ".

وصدق القائل حيث قال: "إياك وعزة الغضب، فإنها تفضي إلى ذل العذر".

فلا تتكلم حال الغضب، وإذا تكلّمت فلا تتكلّم بما تندم عليه

٢. قال ميمون بن مهران ﷺ: "جاء رجلٌ إلى سلمان ﷺ، فقال: يا أبا عبد الله، أوصني، قال: لا تغضب، قال أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك".

وها هو أبو ذر ﷺ: "يدخل عليه سفيه من السفهاء فيشتمه، وظل الرجل يشتم أبا ذر، فرفع أبو ذر إليه رأسه ليسكت، فقال الرجل: والله لو رددت عليّ كلمة لرددت عليك مائة، فقال أبو ذر: والله لو سببتني بمائة فلم أرد عليك بكلمة، اذهب غفر الله لي ولك" .

وشتم رجل عدي بن حاتم وهو ساكت، فلما فرغ من مقالته قال:

"إن كان بقي عندك شيء فقل قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيِّدهم لم يرضوا".

ويقول الشافعي في ديوانه:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرَّجت عنه ... وإن خليته، كمداً يموت

وقال أيضاً:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيباً

يزيد سفاهة فأزيد حلماً ... كعودٍ زاده الإحراقُ طيباً

٤- الـــوضـــــوء:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند فيه مقال عن عطية السعدي قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" (ضعيف الجامع: ١٥١٠)

وإن كان الحديث ضعيفاً لكن المعنى صحيح، وهو شيء مجرب

– وأخرج الإمام أحمد أيضاً والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمَن أحس بشيء من ذلك فليلصق وضوء" (ضعيف)

٥- التحلي بتقوى الله:

جاء في "كتاب الحلم لابن أبي الدنيا": "أن أم المؤمنين عائشة ﷺ كانت صائمة، فأمرت جاريتها (بُرَيْدَة) أن تصنع لها طعاماً لتفطر به، فتشاغلت عن ذلك حتى مضى النهار وجاء المغرب، فلم تجد أم المؤمنين طعاماً، فالتفتت إليها وقالت وهي تكتم غيظها: لله دُرُّ التقوى، فلم تدع لذي غيظٍ شفاء(تشفي)".

وروي عن عمر ﷺ أنه قال:

"مَن اتَّقى الله لم يشف غيظه، ومَن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون"

٦- الإكثار من ذكر الله:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]

فمَن اطمئن قلبه بذكر الله؛ كان أبعد ما يكون عن الغضب.

قال عكرمة ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[1] [الكهف: ٢٤] (الاستقامة: ٢/٢٧٢)

٧- التحلي بالسكينة:

فالتزام السكينة من أنجح الوسائل لقطع الخصومة والخوض في الباطل.

يقول ابن القيم كما في "مدارج السالكين":

"السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار، وانطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا والفُحش، واللغو والهُجْر، وكل باطل".اهـ

(١) أي: إذا غضبت.

٨- الوقوف على عواقب الغضب والنظر في نتائجه الوخيمة:

فقد أثبتت الأبحاث الطبية أن الغضب يسبب كثير من الأمراض منها: -

١- مرض السكر:

فعندما تحدث الإثارة العصبية نتيجة الغضب يفرز هرمون (رسول) الأدرينالين (هرمون الطوارئ)، وذلك من لب الغدة الكظرية أعلى الكُلى، ومهمة هذا الهرمون تكييف الجسم وإعداده للاستجابة للمؤثرات العصبية ومنها: الغضب، حيث يتجه إلى البنكرياس ليوقف إفراز الأنسولين ليزداد السكر في الدم، علاوة على تأثيره في زيادة تصنيع السكر من مصادر دهنية وبروتينية، ومن تكسير النشا الحيواني .

٢- ارتفاع في ضغط الدم:

نتيجة انقباض عضلة القلب وزيادة قوتها، فيعمل القلب على ضخٍّ كمية كبيرة من الدماء، وتنتفخ الأوداج، وتزداد دقات القلب مما يُجهِد القلب، وربما يُؤدي إلى سكتة قلبية تُسبِّب الوفاة، أو قد تُؤدي إلى تصلب الشرايين .

٣- وفي بعض الحالات إلى السرطان:

نتيجة إفراز بعض الغدد هرمونات تعمل على سد الطريق أمام جهاز المناعة في الجسم، و إعاقة حركة الأجسام المضادة، بل تتعرض الأسلحة الفعالة التي يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه للضعف الشديد، نتيجة لإصابة بعض الغدد بالتقلص عند حدوث أزمات قلبية .

٤- القولون العصبي:

وذلك لعدم انفصال الحالة الجسمانية عن الحالة النفسية .

٥- الذبحة الصدرية

٩- استحضار الأجر الكبير، والطمع فيما أعده الله لمن كظم غيظه:

أ- الفوز بدرجة المحسنين ومحبة رب العالمين:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]

وليس هناك أفضل من درجة الإحسان والفوز بمحبة الرحمن .

ب ـ كظم الغيظ من أفضل الأعمال وأعظم الأجور:

أخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله"

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في "الاستقامة"(٢/٢٧٢):

"ما تجرَّع عبدٌ جرعةً أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة" .

جـ ـ كظم الغيظ سبب في زيادة الإيمان:

أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبدٌ لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً".

د- كظم الغيظ سبب في قوة الرجاء:

أخرج الطبراني في "الكبير" بسند حسن أن النبي ﷺ قال:

"مَن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيَهُ أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة" (الصحيحة:٩٠٦)

هـ - ترك الغضب سبب لدخول الجنة:

أخرج الطبراني في "الأوسط" عن أبي الدرداء ﷺ قال:

"قلت يا رسول الله: دلني على عمل يُدخلني الجنة، قال: لا تغضب ولك الجنة" .

و- ترك الغضب للفوز بالحور العين:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"مَن كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذَهُ؛ دعاه الله على رءوس الخلائق، حتى يخيره الحور العين، يزوجه منها ما شاء " (صحيح الجامع:٦٥٢٢)

– *وعند أبي داود بلفظ:* "مَن كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذَهُ؛ دعاه الله ﷻ على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما يشاء"

وأخيراً من وسائل علاج الغضب:

١٠ - معرفة أن الغضب دليل على الضعف و أن القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب: فالبعض يتصوَّر أن الرجولة أو القوة والشدة هي في الغضب والضرب والتكسير، وما علم هذا المسكين أن الأمر على خلاف ما يتصوَّر، فالشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"ليس الشديد بالصُّرَعَة [١]، إنمَّا الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"

- ***قال ابن القيم ﷺ:*** *"أي مالك نفسه عند الغضب أولى أن يسمى شديداً من الذي يصرع الرجال ".*

- ***وقال شيخ الإسلام ﷺ:*** "ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب، حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس بشجاع ولا شديد".

- ***وفي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **"فما تعدُّون الصَرَعَةُ فيكم، قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب"**

- ***يقول عكرمة ﷺ في قوله تعالى:*** ﴿ وَسَيِّداً وَحَصُوراً ﴾ [آل عمران:٣٩]

قال: "السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه".

- ***وأخرج البزار عن أنس ﷺ قال:*** **"مرَّ النبي ﷺ بقوم يصطرعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: يا رسول الله فلانٌ ما يصارع أحداً إلا صرعه، فقال رسول الله ﷺ أفلا أدلكم على مَن هو أشد منه، رجلٌ ظلمه رجلٌ فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه، وغلب شيطان صاحبه" .**

(قال الحافظ ابن حجر: إسناده جيد)

فيا رب هب لي منك حلماً فإنني أرى الحلم لم يندم عليه كريم

- ***أخرج البيهقي عن عامر بن سعد ﷺ:*** **"أن النبي ﷺ مرَّ بناس يتحادُّون مِهْرَاساً، فقال: أتحسبون الشِّدة في حمل الحجارة؟ إنما الشدةُ أن يمتلئَ الرجل غيظاً ثم يغلبه" .**

- ***وفي رواية عن أنس ﷺ:*** **"أن النبيَّ ﷺ مرَّ بقوم يرفعون حجراً، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قال: يرفعون حجراً يريدون الشدة، فقال ﷺ: أفلا أدلكم على مَن هو أشد منهم – أو كلمة نحوها – الذي يملك نفسه عند الغضب".**

(١) الصُّرَعَة: الذي يصرعُ الناس ويغلبهم.

أحبتي في الله..

لابد أن نعلم أن الجزاء من جنس العمل.

فمَنْ غَضبَ بغير حق وأمضى غضبه، فهذا لا يأمن غضب الله يوم القيامة .

أخرج ابن حبان عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال:

"قلت: يا رسول الله، ما يمنعني من غضب الله؟ قال النبي ﷺ: لا تغضب".

- *وكان أبو الدرداء ﷺ يقول:*

"أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذر أن تظلم مَن لا ناصر له إلا الله "

(البيان والتبيين ١/٤٥٦) .

أما مَن كظم غيظه وعفا عن الناس وأصلح، فإن الله تعالى سيعفو عنه يوم القيامة ويغفر له، والجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النور:٢٢]

- *وقال النبي ﷺ كما عند الطبراني من حديث جرير:*

"إنما يرحم الله من عباده الرحماء" (صحيح الجامع ٣٢١٨)

- *أخرج الإمام مسلم عن أبي مسعود البدري ﷺ قال:*

"كنت أضربُ غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي (اعلم أبا مسعود) فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود.. اعلم أبا مسعود، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً،

- *وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً:* "فقلت: يا رسول الله، هو حرٌ لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمسَّتك النار".

- *وقال بعض الحكماء:* *"مَن ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله".*

- *وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد:*

"يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا عفوت عني، فعفا عنه لما ذكَّرهُ قدرة الله تعالى".

- *وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان لما تمكَّن من بعض أعدائه وأَسَرَهُم:*

"إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو".

لذا ينبغي علينا أن نتحلَّى بالحلم والأناة والرفق، وأن نعفو ونصفح ونعرض عمَّن جهل علينا من الجاهلين؛ حتى يعفوَ عنا أرحم الراحمين.

وهو القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]

- وجاءت الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية تشير بقوة على هذا الأصل الأصيل

كما قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر:٨٥] .

وقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧].

فيكون المعنى؛ والذين تسلط عليهم الغضب ملكوا أنفسهم فلم يعاقبوا بقول أو بفعل .

قال السعدي ﷺ في تفسير الآية:

"أي: تَخَلَّقُوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة، حتى إذا أغضبهم أحد بمقالة أو فعلة كظموا ذلك الغضب، فلم ينفذوه بل غفروا له، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتب على هذا العفو والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير".

كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ:

"أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أَصِلُهُم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلُون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ[١]، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير[٢] عليهم ما دمت على ذلك" .

(١) تسفهم الملّ: تجعلهم يسفون الرماد الحار .

(٢) ظهير: معين.

• وهذه مواقف عطرة للرسول الأمين وصحابته الطيِّبين والسلف الصالحين- رحمة الله عليهم أجمعين-وكيف كانوا لا يغضبون لأنفسهم بل لا يملكون إلا العفو والصفح لمَن أغضبهم

١- ها هو رسول الله ﷺ :

أ- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ:

"هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحُد؟ قال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبْد يَالِيلَ ابن عبد كلالٍ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فنادني ملك الجبال: فسلم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين[١]، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" .

ب- أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قَسَمَ رسول الله ﷺ قسْماً، فقال رجلٌ: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: يرْحَمُ اللهُ موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر".

جـ- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌ غليظ الحاشيةِ، فأدركه أعرابي، فجبذهُ بردائه جبذةً [٢] شديدةً، فنظرت إلى صفحة [٣] عاتق [٤] النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشيةُ الرداء من شدة جبذتِه، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء".

د – وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – ضَرَبَهُ قومُهُ فأدمَوهُ، وهو يمسحُ الدمَ عن وجهِهِ، ويقول:" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"

---

(١) الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب: هو الجبل الغليظ .
(٢) الجبذة: الجذبة.
(٣) الصفحة: الجانب.
(٤) العاتق: ما بين العنق والكتف.

وهاهم سلفنا الصالح الذين رباهم الرسول الأمين الكريم بالفعال والأقوال، فنقل إليهم هذا الخلق الكريم خلق العفو والرفق والحلم على الجاهل.

٢- وها هو عمر بن الخطاب ﷺ :

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ قال:

"استأذن الحر بن قيس لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا بن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل (أي العطاء الكثير) ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله .

٣ – أبـــو الـــدرداء ﷺ :

وأسمع رجلٌ أبا الدرداء ﷺ كلاماً فقال: "يا هذا لا تغرقنَّ في سبِّنا ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه" .

٤- أبـــو ذر ﷺ :

قال أبو ذر ﷺ لغلامه: "لِمَ أرسلت الشاة على علف الفرس ؟ قال: أردت أن أغيظك، قال: لأجمعن مع الغيظ أجراً أنت حر لوجه الله تعالى". **(البيان والتبيين ١|٤٠٦، والمستطرف ٢٠١)**

٥ – ابـن عبـــاس ﷺ:

سب رجل ابن عباس ﷺ فلما فرغ قال:

"يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنَكَّس الرجل رأسه واستحى" . **(المستطرف: ٢٠١)**

٦ – أبـــو هـــريـــرة ﷺ :

سب رجل أبا هريرة، فلما انتهى قال له أبو هريرة ﷺ: "انتهيت، قال الرجل: نعم، وإن أردت أن أزيدك زدتك، فقال أبو هريرة: يا جارية ائتني .... فسكن الرجل، وقال في نفسه: بماذا سيأمرها؟ فقال: أبو هريرة ائتني بوضوء، فتوضأ أبو هريرة وتوجَّه إلى القبلة، فقال: اللهم إن عبدك هذا سبَّني، وقال عني ما لم أعلمه من نفسي، اللهم إن كان عبدك هذا صادقاً فيما قال عني، اللهم فاغفر لي، اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً فيما قال عني، اللهم فاغفر له، فانكبّ الرجل على رأس أبي هريرة ﷺ يُقَبِّلُها" .

٧ – عمر بن عبد العزيز ﷺ:

أسْمَعَ رجلٌ عمر بن عبد العزيز كلاماً يكرهه، فقال عمر: "أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً (يوم القيامة) انصرف – رحمك الله–".

– ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد في ليلة مظلمة، فمرَّ برجل نائم فعَثُر به

فرفع الرجل رأسه وقال: أمجنون أنت؟ (وما علم أنه أمير المؤمنين)، فقال عمر: لا، فهمّ به الحرس، فقال عمر: مَهْ، إنما سألني أمجنون؟ فقلت: لا".

٨- عبد الله بن المبارك ﷺ:

يقول نوح بن حبيب: "كنت عند ابن المبارك فألحوا عليه، فقال: هاتوا كتبكم حتى أقرأ، فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريب ومن بعيد، وكان رجلٌ من أهل الري يسمع كتاب الاستئذان، فرمى بكتابه فأصاب صلعة بن المبارك حرفُ كتابه، فانشق وسال الدم، فجعل ابن المبارك يعالج الدم حتى سكن، ثم قال: سبحان الله كاد أن يكون قتال، ثم بدأ بكتاب الرجل فقرأه" (رواه البيهقي في "الشعب":٨٣٢٠)

٩- إبراهيم ابن أدهم ﷺ:

خرج يوماً يمشي فمرَّ على رجل من اليهود وكان معه كلب

فأراد الرجل أن يُغضب إبراهيم، فقال الرجل لإبراهيم: يا إبراهيم، لحيتك هذه أطهر من ذنب كلبي أم ذنب كلبي أطهر من لحيتك؟ فإذا إبراهيم يقول: إن كنت من أهل الجنة فإن لحيتي أطهر من كلبك، وإن كنت من أهل النار فذنب كلبك أفضل من لحيتي، فقال الرجل: هذه أخلاق النبوة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

١٠- وها هو زين العابدين علي بن الحسين ﷺ:

يُذْكَر أن جارية له جعلت تسكب عليه الماء

فتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشَجَّهُ، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ فقال لها: قد عفا الله عنك، قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]، قال: اذهبي فأنت حرة"

(البيهقي في "الشعب":٨٣١٧)

ولقيه رجلٌ مرة في الطريق فسبَّه، فثارت إليه العبيد فقال:

"مهلاً، ثم أقبل على الرجل فقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر. ألك حاجة نعينك عليها، فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسول، **وصدق ربنا حيث قال:** ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١) [فصلت: ٣٤]

فرحم الله الرعيل الأول كانوا لا يتعدُّون كتاب الله، وما غضبوا لأنفسهم قط، فزادهم الله عزاً ورفعةً وثناءً حسناً.

وصدق النبي ﷺ حيث قال كما في "صحيح مسلم": **"وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً" .**

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

(١) حميم: أي صديق شفيق.